الشريعة الإسلامية ودورها
في تعزيز الأمن الفكري

د. عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

١ . الـشـريعة الإسلامية
ودوورها في تعزيز الأمن الفكري

المقدمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول اللّه ﷺ.

فإنّ من أكبر نعم اللّه علينا أن هدانا للإسلام ومنَّ علينا بهذه الشريعة الغرّاء التي جاءت لتحقيق مصالح العباد في أمور المعاش والمعاد، وحفظت للناس الضرورات الخمس في دينهم وأنفسهم وعقولهم وأموالهم وأنسابهم، يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: « والمعتمد إنما هو أنَّا استقرأنا من الشريعة أنَّها وضعت لمصالح العباد في أمور المعاش والمعاد»[١].

ويقول العلامة ابن القيم رحمه الله: « والشريعة مبناها وأساسها على الحِكَم ومصالح العباد في أمور المعاش والمعاد، فهي خيرٌ كلُّها، وعدلٌ كلُّها، ورَحمَةٌ كلُّها، ومصالح كلُّها، وكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور، ومن المصلحة إلى ضدها فليست من الشريعة»[٢].

ومن محاسن هذه الشريعة الغراء أنها جاءت بحفظ الأمن للأفراد والمجتمعات والأمة، فالأمن مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإيمان بهذه الشريعة، قال تعالى: ﴿ **الذين آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴿٨٢﴾ ﴾ (سورة الأنعام)، ومِن أهمّ أنواعَ الأَمن: «الأمن الفكري»، بل هو لب الأمن وركيزته، لأن الأمم والأمجاد والحضارات إنما تقاس بعقول

---

(١) الموافقات ص (٢/ ٦).
(٢)إعلام الموقعين ص (٣/ ١٤)

أبنائها وأفكارهم، لا بأجسادهم وقوالبهم، فإذا اطمأن الناس على ما عندهم من أصول وثوابت، وأمنوا على ما لديهم من قيم ومثل ومبادئ، فقد تحقّق لهم الأمن في أسمى صوره وأجلى معانيه، وإذا تلوثت أفكارهم بمبادئ وافدة وأفكار دخيلة وثقافات مستوردة فقد جاس الخوف خلال ديارهم، ذلك الخوف المعنوي الذي يهدد كيانهم ويقضي على مقومات بقائهم، لذلك حرصت الشريعة الغراء على تعزيز الأمن الفكري لدى الأفراد والمجتمعات والأمم، وكان لها الدور المجلّى والقدح المعلّى في ذلك عن طريق وسائل متعددة أسهمت في حمايته والحفاظ عليه من كل قرصنة فكرية أو سمسرة ثقافية تهزّ مبادئه أو تخدش قيمه أو تمس ثوابته وعقيدته.

وقد أحسنت جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية صنعاً ذلك الصرح العلمي والمعقل الأمني الأكاديمي حين عنيت بهذا الموضوع، ودعت إلى الاهتمام به عن طريق هذا المتلقى العلمي المهم.

تأتي أهمية هذا الموضوع من أمور متعددة أهمّها:

١ ـ تركيزه على أساس عزّنا ومصدر فخرنا ألا وهي شريعتنا الغراء من حيث تعريفها وخصائصها ومصادرها، ونحو ذلك مما يتعلق بها.

٢ ـ عنايته بموضوع مهم جداً هو ركيزة استقرارها وأساس أمانها وطمأنينتها ألا وهو «الأمن» بمفهومه الشامل.

٣ ـ تخصصه بنوع من أنواع الأمن يعد أهمّها وركيزتها وهو المتعلق بعقول أبنائها وفكرها وثقافتها ألا وهو الأمن الفكري من حيث ماهيته وأهميته وضوابطه ووسائل تعزيزه ومهدداته ومعوقاته.

٤ ـ اهتمامه بإبراز دور الشريعة الإسلامية في تعزيز الأمن الفكري عن

طريق تحقيق عدد من الوسائل والعوامل في ذلك المجال المهم .

٥ ـ إن هذا الموضوع يأتي في زمن كثرت فيه التحديات والحملات والانحرافات الفكرية فلعله يضيف لبنة في إبراز تحقيق الأمن الفكري للأمة .

تلك أهم الأمور التي أراها باعثة على الاهتمام بهذا الموضوع القيّم .

وقد سرت في هذا البحث على مقتضيات البحث العلمي من حيث عزو الآيات وتخريج الأحاديث ، والعزو للمراجع المعتبرة ونحو ذلك .

وتكون البحث من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة .

أما المقدمة ففيها : أهمية الموضوع، ومنهج البحث، وخطته .

١ . ١ تعريف موجز بالشريعة الإسلامية

١ . ١ . ١ تعريف الشريعة

ـ لغة

«الشِّرعةُ والشريعةُ في كلام العرب : مَشْرَعةُ الماء وهي مَورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون، وربما شرعوها دوابَهم حتى تشرعها وتشرب منها، والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عِدّاً[١] لانقطاع له، ويكون طاهراً معيناً لا يسقى بالرِّشاء[٢]، وإذا كان من السَماء والأمطار فهو الكَرَعُ» .

---

(١) العد : الماء الذي لا ينقطع ، مجمل اللغة كتاب العين (٣/ ٦١٢) ، لأحمد بن فارس .

(٢) الرشاء : الحبل ، تاج اللغة وصحاح العربية (٦/ ٢٣٥٧) .

وفي اللسان : «والشريعة والشِّراعُ والمَشْرَعةُ : المواضع التي ينحدر الماء منها»[١] .

فأصل الشريعة في كلام العرب مورد الشاربة التي يشرعها الناس[٢] .

والمستقرئ لمعاني الشريعة في اللغة يجد أنها تطلق ويراد بها معنيان :

١ ـ مشرعة الماء .

٢ ـ الطريقة المستقيمة[٣] .

ومعنى لفظ شرع «أظهر» قاله ابن الأعرابي ، ومثله كلام الأزهري[٤] ، قال : «معنى شرعَ بيَّنَ وأوضح» .

وحاصل المعنى اللغوي : أن لفظ الشريعة يطلق على مورد الشاربة ، والشرع مصدر ثم جعل اسماً للطريق النهج المستقيم ، ومعنى شرع أي سنّ ونهج وأوضح وبيّن المسالك وكل ذلك فيه معنى الإبتداء ، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : «الشرعة وهي الشريعة أيضاً هي ما يبدأ فيه إلى الشيء ومنه يقال شرع في كذا أي ابتدأ فيه»[٥] .

فمن ابتدأ في سن أمر وأوضحه وبيّنه وجعله منهاجاً فقد شرعه[٦] .

ـ المعنى الإصطلاحي

للعلماء في تعريف الشريعة في الاصطلاح أقوالٌ متعددة تعود في مضمونها إلى هدف واحد .

---

(١) لسان العرب ، مادة : «شرع» ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور .
(٢) تاج العروس ، باب العين فصل الشين ، لمحب الدين محمد الزبيدي .
(٣) الشريعة الإسلامية تاريخها ونظرية الملكية والعقود ٢٧ ـ ٢٨ .
(٤) لسان العرب ، مادة «شرع» .
(٥) تفسير ابن كثير (٢/ ٦٦) .
(٦) المدخل لدارسة الشريعة الإسلامية ، عبدالكريم زيدان ، ص١٠ .

فقد عرّفها ابن حزم بقوله : الشريعة هي ما شرعه اللّه تعالى على لسان نبيه صلى اللّه عليه وسلم في الديانة وعلى ألسنة الأنبياء عليهم السلام قبله، والحكم منها للناسخ[١] .

وقال شيخ الإسلام : «كذلك اسم الشريعة والشرع والشرعة فإنه ينتظم كلما شرعه اللّه من العقائد والأعمال»[٢] .

وقال : فالسنة كالشريعة هي : ما سنه الرسول وما شرعه، فقد يراد به ما سنّه وشرعه من العقائد، وقد يراد به ما سنه وشرعه من العمل، وقد يراد به كلاهما[٣] .

وقال رحمه اللّه : «والشريعة إنما هي كتاب اللّه وسنة رسوله، وما كان عليه سلف الأمة في العقائد والأحوال والعبادات والأعمال، والسياسات والأحكام، والولايات والعطيات[٤] .

وقد عرّفها بعض المتأخرين بقوله :

الشريعة الإسلامية هي مجموعة الأوامر والأحكام الاعتقادية والعملية التي يوجب الإسلام تطبيقها لتحقيق أهدافه الإصلاحية في المجتمع[٥] .

وقال آخر : الشريعة الإسلامية في الإصطلاح : ما شرعه اللّه لعباده من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات ونظم الحياة، في شعبها المختلفة، لتحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة[٦] .

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام للحافظ أبي محمد علي بن حزم (ج١/ ٤٢١) .
(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٠٦) .
(٣) مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٠٧) .
(٤) مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٠٨) .
(٥) المدخل الفقهي العام ، مصطفى أحمد الزرقا (١/ ٣٠) .
(٦) تاريخ التشريع والفقه في الإسلام تاريخاً ومنهجاً ، مناع القطان ص١٥ .

١ . ٢ خصائص الشريعة الإسلامية ومميزاتها

لقد تميّزت الشريعة الإسلامية بخصائص وسمات تميّزها عن جميع القوانين البشرية، وهي كثيرة، أهمّها :

١ ـ أنّ هذه الشريعة من عند اللّه أنزلها سبحانه، وهو العالم بما يصلح لخلقه ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ** ﴿١٤﴾ ﴾ (سورة الملك) .

٢ ـ عموم الشريعة للانس والجن، وأنها خاتمة الشرائع وخلاصتها .

٣ ـ كمالها ووفاؤها وتمامها ﴿ ... **اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ...﴿٣﴾ ﴾ (سورة المائدة) .

٤ ـ ثابتة ما دامت الحياة الدنيا، ومواكبتها للمتغيرات والمستجدات .

٥ ـ شاملة لجميع ما يحتاجه الناس في أمور دينهم، ودنياهم من عقائد وشرائع وأحكام وسلوك ومنهاج للحياة .

٦ ـ أنها متوازنة لا اضطراب فيها ولا عوج .

٧ ـ إنها تتميز عن شرائع البشر بكونها شريعة نُزِّلت لتحمل الناس على الخير وتحكم لهم واقعهم البشري الذي يعيشونه حسب اختلاف مجتمعاتهم .

٨ ـ الجزاء فيها دنيوي وأخروي .

٩ ـ أخلاقية في أهدافها عادلة في أحكامها .

١٠ ـ صلاحيتها لكل زمان ومكان[١] .

---

(١) انظر : المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، عبدالكريم زيدان ، ص٣٩ وما بعدها، الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية ، عابد بن محمد السفياني ، ص٢١ .

١ .٢ .١ مصادرها

مصادر الشريعة، قسمان :

١ ـ القسم الأول : المصادر المتفق عليها :

أ ـ القرآن الكريم .

ب ـ السنة النبوية .

جـ ـ الإجماع .

د ـ القياس .

٢ ـ القسم الثاني : المصادر المختلف فيها :

ومنها :

أ ـ مذهب الصحابي .

ب ـ الاستصحاب .

جـ ـ الاستحسان .

د ـ المصالح المرسلة .

هـ ـ العرف .

و ـ الاستقراء .

ز ـ إجماع أهل المدينة .

وغيرها وليس هذا مجال التفصيل [١] .

---

(١) انظر : الموافقات (٣/ ٤١) ، شرح تنقيح الفصول ص٤٤٥ ، الإحكام للآمدي (١/ ١٠٨) ، التمهيد لأبي الخطاب (١/ ١٨) ، إرشاد الفحول لمحمد بن علي الشوكاني ص٢٣٦ ، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، عبدالكريم زيدان ص١٨٢ .

١ . ٣ الأمن الفكري

١ .٣ .١ تعريف الأمن الفكري

المتبادر لأول وهلة من مصطلح الأمن الفكري أنه منصب على ما يتعلق بالفكر ومكونات الثقافة الخاصة بكل أمة .

ولذلك فإنه يمكن أن يصاغ تعريفٌ للأمن الفكري فيقال :

هو : أن يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم، آمنين مطمئنين على مكونات أصالتهم، وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية .

وبعضهم يعبّر عنه بالأمن الثقافي فيقول : الأمن الثقافي للمجتمع يعني : وجود قيم وتصورات تفرز ضوابط سلوكية من شأنها أن تشبع الأمن في النفوس وتجافي الجنوح في العنف[١] . هذا مفهوم الأمن الفكري بعامة .

أما مفهومه لدى المسلمين فمن المعلوم أن المسلمين يرجعون في كل أمورهم ومنها الفكرية والثقافية إلى الكتاب والسنة فهما مصدر الأمن الفكري لديها، ولذا فإذا أردنا أن نصوغ تعريفاً للأمن الفكري لدى هذه الأمة الإسلامية فإننا نقول : «أن يعيش المسلمون في بلادهم آمنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم التوعية ومنظومتهم الفكرية المنبثقة من الكتاب والسنة» .

فمتى ما اطمأن المسلمون على خصائص ثقافتهم ومميزات فكرهم وأمنوا على ذلك من لوثات الفكر الدخيل وغوائل الثقافة المستوردة فقد تحقق لهم الأمن الفكري، والله أعلم[٢] .

---

(١) خطاب الأمن في الإسلام وثقافة التسامح والوئام ، عبدالله الشيخ المحفوظ ولد بيه ص٣٤ .

(٢) الأمن الفكري ، عبدالله بن عبدالمحسن التركي ص٦٦ .

١ .٣ .٢ أهميته

الأمن مطلب أساسي لكل أمة . . ويأتي الأمن الفكري على رأس قائمة الغايات الهامة . . لتكون حماية المجتمع عامّة والشباب خاصة في البلاد المسلمة من الأفكار الدخيلة الهدّامة واجباً شرعياً، وفريضة دينية .

قد جاءت حقيقة الأمن الفكري في العديد من الآيات الكريمة حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ...﴿٩٦﴾** ﴾ (سورة الأعراف) .

وأي بركة أعظم من تحقيق الأمن ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِنًا ...﴿٣٥﴾** ﴾ (سورة إبراهيم)، وهذا ما منّ اللّه عزّ وجل به على قريش : ﴿ **لإِيلافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا البَيْتِ ﴿٣﴾ الذي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾** ﴾ (سورة قريش)، ومنّ اللّه على قريش في موضع آخر بقوله : ﴿ **... أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ...﴿٥٧﴾** ﴾ (سورة القصص) .

ويمكن تلخيص أهمية الأمن الفكري في النقاط التالية :

١ ـ أن الأمن الفكري يحقق للأمة أهم خصائصها، وذلك بتحقيق التلاحم والوحدة في الفكر والمنهج والغاية .

٢ ـ أنه في غياب الأمن الفكري سيكون هناك خلل في الأمن في جميع فروعه .

٣ ـ أن الفكر في هذه الأمة يستمد جذوره من عقيدة الأمة ومسلماتها وثوابتها وهو الذي يحدد هويتها وشخصيتها وذاتيتها .

٤ ـ أن تحقيق الأمن الفكري هو المدخل الحقيقي للإبداع والتطور والنمو لحضارة المجتمع وثقافته .

٥ ـ أن في تحقيقه حماية للمجتمع عامَّة وللشباب خاصَّة ووقاية لهم مما يرد عليهم من أفكار دخيلة هدّامة .

٦ ـ أن الأمن الفكري يبحث في كيفية التصدي للجريمة عامة وجرائم العنف خاصة .

٧ ـ أن في تحقيقه صيانة للشريعة وذباً عن حياضها لأن الغاية التي يتفق عليها جميع أعداء الإسلام هي الطعن والتشكيك فيه .

تلك أهم ملامح أهمية الأمن الفكري في حياة الفرد والمجتمع والأمة ، مما يحتم العناية والاهتمام به من جميع شرائح الأمة وأطياف المجتمع[1] .

١ .٣ .٣ ضوابطه

هناك عدد من الضوابط المهمّة للأمن الفكري ، أهمها :

١ ـ أن يكون منبثقاً من ديننا الحنيف ومعتقداتنا الصحيحة الراسخة .

٢ ـ أن يتمشّى مع مقاصد الشريعة وحكمها ، وتحقيقها للمصالح ودرئها للمفاسد .

٣ ـ تحقيقه للوسطية والاعتدال بفهم الصحابة الأخيار والأئمة الكبار .

٤ ـ أن يتلقّى من المصادر الصحيحة ، ويتولّى ذلك العلماء الربانيون .

٥ ـ أن يحقق للأمة وحدتها وتلاحمها .

٦ ـ أن يحافظ على ثقافة الأمة ومكونات أصالتها وقيمها .

٧ ـ أن ينجح في تحديد هوية الأمة وتحقيق ذاتيتها ، وإبراز شخصيتها .

٨ ـ السمو بالفرد والمجتمع إلى أعلى درجات الطهر والعفة والنبل .

---

(١) انظر : الأمن الفكري ، عبدالله التركي ص٢٥ , ٦٩ .

٩ ـ أن يكون القائمون عليه والحامون له هم ولاة الأمر من الحكام المخلصين والعلماء العاملين .

١٠ ـ أن يكون طريقاً لتحقيق الأمن بمفهومه الشامل بعيداً عن الازدواجية والفوضى الفكرية والاجتماعية .

علاوة على ما جاءت به الشريعة من محاسن وفضائل ، وما دعت إليه من التعاون والتعارف , قال تعالى ﴿ ... **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والْعُدْوَانِ** ... ﴿٢﴾ ﴾ (سورة المائدة) .

وقال سبحانه ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** ... ﴿١٣﴾ ﴾ (سورة الحجرات) وما اتسمت به من الرفق والتسامح ومراعاة حقوق الإنسان والشعوب ، وتحقيق الحرية الشرعية والعدل والحق والمساواة ، والحوار ومدّ الجسور مع الحضارات الإنسانية الأخرى وما قررته من الحرص على شتى المعارف النافعة وأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذ بها ، وإنما ذكرت ذلك لأن الإخلال بالأمن الفكري ينتج عن علاقة هذه الأمة بغيرها فلابد من وضع الضوابط لذلك .

تلك أهم الضوابط التي استقرأتها من خلال الاطلاع السريع وقد يكون هناك غيرها يعود في المحصّلة إليها[1] ، والله أعلم .

١ .٣ .٤ وسائل تعزيزه (كيفية تحقيقه)

هناك عدد من الوسائل التي تعزز الأمن الفكري ويمكن تلخيصها فيما يأتي :

---

(١) انظر : كتاب الثقافة والعالم الآخر ، عبد الله الطريقي ، ص٤٣ وما بعدها .

١ ـ الاهتداء بهدي اللّه، والاعتصام بكتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ، فإن ذلك هو الأمن الحقيقي، وهو الذي يستند عليه ولاة الأمر في هذه البلاد، ويترسمه رجال الأمن بحمد اللّه، ويحرص عليه كل غيور، قال تعالى: ﴿**الذينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴿٨٢﴾﴾ (سورة الأنعام).

٢ ـ التنشئة الاجتماعية الصحيحة التي تيسر ما ارتضاه الدين ولا تخالف المجتمع في عاداته وتقاليده وأعرافه التي لا تخالف الشرع.

٣ ـ وضع الأنظمة والضوابط للمطبوعات والإعلام.

٤ ـ دعوة كل القادة من حكام وعلماء، والرواد في كل ميادين السياسة والفكر والعلم والثقافة، ودعوة كل كتابنا وأدبائنا ومفكرينا وعلمائنا، في كل ميادين المعرفة، وخاصَّة علماء الدين لمحاربة تيارات الإلحاد والتطرف والغلو والإرهاب والعنف والتغريب والفوضوية، والوقوف بحزم ضد كل تيارات الإفساد الديني والاجتماعي والفكري الذي يتعرّض له مجتمعنا عامَّة وشبابنا خاصة.

٥ ـ إتاحة الفرصة للتعرف على اتجاهات شبابنا الفكرية والثقافية ومناقشة هذه الاتجاهات والتجاور فيها، وتعرية اتجاهات الفكر المستورد المتطرف والمريض.

٦ ـ الاهتمام بإحياء التراث الإسلامي وتلقينه، بعد تنقيته وإبراز القيم الإنسانية والجمالية فيه وتشجيع الشباب على الدراسة والبحث والإطلاع على عيون تراثنا الحضاري العريق، وعلى أمهات الكتب الثقافية والعلمية القديمة والمعاصرة، فالتعصب يختبئ وراء الجهل،

والتطرف يتوارى خلف جدار سميك من الأمية الثقافية والعلمية والفكرية.

٧ـ ترسيخ المفاهيم الإنسانية والقيم الحضارية التي أبدعها المسلمون، القدامى والمعاصرون، حتى يعود الشاب المسلم، مثلما كان صانع حضارة ومؤسس دولة حضارية.

٨ـ الوجود الفاعل للإعلام، وذلك لشرح مزايا الإسلام الصحيح ودحض كل ما يخالفه من أفكار مستوردة وثقافات مشبوهة.

٩ـ العمل على ترسيخ منهج الوسطية والاعتدال، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ...﴿١٤٣﴾﴾ (سورة البقرة)، وتطبيق ذلك في حياتنا وسلوكنا وتصرفاتنا، بعيداً عن الغلو والزيادة، والجفاء والتميع والذوبان والانهزامية.

١٠ـ العناية بتصحيح المفاهيم والمصطلحات الشرعية وتنقيتها من المصطلحات المشبوهة والمغلوطة، فكم كان الخلط في المفاهيم سبباً في الانحراف الفكري والانزلاق في مزالق الغلو والتكفير والتفجير والتدمير بدعوى الجهاد مثلاً والولاء والبراء.

ومن طرف مضاد ضبط مصطلحات الحرية الفكرية حتى لا تكون حرية كفرية والوقوف بحزم أمام تيارات الانفتاح غير المنضبط والعولمة الثقافية والفكرية والعلمنة والتغريب والسير وراء مصطلحات الغير واجترارها دون عناية بخصوصيتنا الثقافية ومميزاتها الفكرية.

وتلك مسؤولية عظيمة متى ما تحققت أمن الناس على حياتهم الفكرية وموروثاتهم الثقافية.

١ .٣ .٥ معوقاته ومهدداته

كما أنّ هناك وسائل لتعزيز الأمن الفكري، فإن هناك مهددات ومعوقات في سبيل تحقيقه، منها :

١ ـ الابتعاد عن شريعة اللّه، واتباع الأهواء المتفرقة والأفكار المنحرفة والتي تفضي بطبيعة الحال إلى الاختلاف والتفرق والتشرذم.

٢ ـ إغلاق منافذ الحوار والمناقشة مع الآخرين بل حتى مع المخالف للرواضه الفكرية وعدم إيضاح جوانب الخطأ والتأزم وأسباب الجنوح والإنحراف فيها.

٣ ـ الابتعاد عن علماء الأمة المعتبرين وترك الإقتداء بهم، وعدم الأخذ بعلمهم ومنهجهم واستنباطهم وخاصة في نوازل الأمة التي يحتاج النظر فيها إلى فهم دقيق وعلم وافر واستنباط صحيح.

٤ ـ القصور في جوانب العقيدة وتطبيق الشريعة ومجالات الدعوة والحسبة.

٥ ـ الإعراض عن العلوم الشرعية و تعلم العقيدة الصحيحة ووجود الخلل في مناهج التعليم.

٦ ـ القصور الإعلامي في توجيه الشباب وتحصينهم ضدّ الأفكار المخالفة، وعدم الأخذ بجميع الطرق والأساليب المتاحة لتقويض ثقافات الإباحية والعلمانية وإزالة فساد الفكر القادم من الشرق والغرب التي تعج بها كثير من الفضائيات وشبكات المعلومات.

٧ ـ التقصير في أداء المسؤولية من المعنيين بذلك سواء كانوا قادة أم علماء أم سياسيين أم كتاب ومثقفين أم أدباء أم مفكرين أم غيرهم

من القيام بما أنيط بهم من واجب توفير الأمن الفكري للمجتمع والشباب خاصة.

٨ـ كما أن من معوقاته الجهل وأنصاف المتعلمين وعدم الفهم الصحيح والتقصير في مصدر التلقي السليم والانسياق وراء التعصب المقيت والتحزب المذموم، والله أعلم[١].

١ . ٤ دور الشريعة في تعزيز الأمن الفكري

مما لاشك فيه أنّ للشريعة دوراً كبيراً في تعزيز الأمن الفكري، ويمكن تحقيق ذلك من خلال الأمور الآتية :

١ .٤ .١ غرس العقيدة الصحيحة في النفوس

ـ العلاقة بين الأمن والإيمان

تشترك مادتا الأمن والإيمان في الأصل اللغوي «أ م ن»، فقد ذكرت مشتقات هذه المادة أكثر من ثمانمائة (٨٠٠) مرة في كتاب اللّه عزّ وجل.

فالمؤمنون والإيمان والأمانة والأمين والأمن كلها كلمات تدل على معنى الراحة والسكينة وتوفير السعادة والاستقرار ورغد العيش والبعد عن الخوف والحزن لمن أطاع اللّه سبحانه واستجاب لأمره وعكس ذلك لمن عصاه وخالف أمره.

قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴿٨٢﴾ ﴾ (سورة الأنعام)[٢].

---

(١) انظر : الأمن الفكري، عبدالله التركي ، ص١٢٧ .

(٢) المؤسسات الدينية ودورها في تعميق الوعي الأمني ،أحمد سيف الدين، ص٥٧ .

فالأمن الحقيقي الشامل لا يتحقق إلاّ بالإيمان باللّه عزّ وجلّ رباً خالقاً مالكاً متصرفاً وإلهاً مستحقاً للعبادة دون سواه ورحماناً رحيماً له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العلا : ﴿ ... **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴿١١﴾ ﴾ (سورة الشورى).

هذا الإيمان هو الطريق المؤدي إلى الأمن والسلامة والنجاة لأنه طريق مستقيم لا عوج فيه، أما غيره من الطرق فيؤدي إلى الضياع والحيرة والاضطراب، ويدعو إلى الخوف على النفس والمال والممتلكات كما قال تعالى : ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴿١٥٣﴾ ﴾ (سورة الأنعام).

وقال تعالى : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ...** ﴿٥٥﴾ ﴾ (سورة النور).

وهذه الآية الكريمة فيها وعد صادق من اللّه سبحانه وتعالى لعباده الذين انطوت قلوبهم على خصال الإيمان وأركانه، ولانت جوارحهم بطاعة اللّه ورسوله ﷺ، واصطبغت حياتهم بالعمل الصالح، بأن استقاموا على هدي كتاب اللّه وعلى سنة رسوله ﷺ، وعدهم أن يمكّن لهم في الأرض، ويستخلفهم فيها، وأن تنقلب حالهم آمنة ينعمون فيها بالاستقرار، بعد أن كانوا يموجون في الخوف والفزع.

والأمن المراد في الآية هو الأمن الشامل وهو الذي جاءت النصوص الشرعية تنوه بشأنه وبأسبابه، وتقرن وجوده بوجود الإيمان والعمل الصالح من جهة، وتحذر من فقدانه، وهو المتضمن لعدة أنواع من الأمن تختلف

باختلاف أسباب الخوف، فالأمن الشامل في الحقيقة متنوع إلى أنواع عديدة، بتنوع أسبابه ومقتضياته[1].

١ .٤ .٢ تطبيق الشريعة وحفظ الضرورات الخمس

لتطبيق الشريعة الإسلامية آثار حميدة، ونتائج فريدة تسعد الفرد، وتؤمن المجتمع، وتبعد الفوضى، وقد حفظ الإسلام بشرائعه المصالح الشرعية والأمور الضرورية التي تقوم عليها الحياة، والتي يطلق عليها العلماء: «بالضروريات الخمس» أو «الكليات الخمس» وهي كما يقول الشاطبي ـ رحمه اللّه تعالى ـ : «الأمور التي تتوقف عليها حياة الناس في الدنيا، وبدونها لا تستقيم الحياة، وتنحصر في خمسة أمور هي : الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال»[2].

ومن أعظم ثمار تطبيق العقوبات الشرعية، استتباب الأمن بفروعه وعلى رأسه الأمن الفكري، لأن العقل من الضروريات التي جاء الإسلام لحفظها، فحفظه مما يخل به ويجنح به عن الطريق المستقيم غاية من غاية الشريعة الإسلامية، وذلك لكونه من الأصول التي تقوم عليها حياة الإنسان في هذه الدنيا[3].

---

(١) الأمن الفكري ، تأليف : عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، ص١٢ .
(٢) الموافقات (٢/ ٨ ـ١٠) بتصرف .
(٣)الأمن الفكري ، عبدالله التركي ، ص٣٩ ، أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في منع وقوع الجريمة ، صالح بن ناصر الخزيم ، ص٢٠ . بتصرف .

١ . ٤ .٣ العلم النافع

قال اللّه تعالى : ﴿ **وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلي صراط مستقيم** ﴿٥٤﴾ ﴾ (سورة الحج) .

إنّ من أهمّ روافد الأمن الفكري التزود بالعلوم الإيمانية ، التي ترشد إلى طريق الهداية والصلاح الذي جاء به القرآن الكريم ، وهو الحق المبين ، الذي لا يأتيه الباطل ، وتدعو إلى الوعي الفكري الناضج ، وسلوك الطريق القويم ، وأداء الطاعات ، وفعل الخيرات ، واجتناب المحرمات ، تقرباً إلى الخالق جلّ وعلا ، وطمعاً في رحمته وعفوه ، وخوفاً من حسابه وعذابه ، ولهذا فقد أشاد القرآن العظيم بفضائل العلوم الإيمانية وشرف مكانتها ، وعظيم منافعها ، وثمراتها التربوية الآمنة ، فقال جلّ وعلا : ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَاب** ﴿٩﴾ ﴾ (سورة الزمر) .

ويحقق العلم الإيماني الذي يدعو إليه القرآن الكريم فضيلة الجمع بين التقوى والعلم ، ليؤدي العلم النافع أغراضه التربوية في بناء المجتمع الآمن ، والاستقامة السلوكية ، وإقامة العدل ، وأداء الحقوق ؛ ابتغاء مرضاة الله ، بعيداً عن الأطماع المادية ، والدوافع العدوانية الغاشمة .

ولهذا فقد أثنى الرسول الكريم ، والهادي البشير ﷺ بفضائل العلوم الإيمانية ومقاصدها الخالصة ، فعن أبي الدرداء رضي اللّه عنه قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك اللّه به طريقاً من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء

ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنّما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[1].

ومما سبق من أهمية العلم ومكانته وآثاره يتجلّى الارتباط الوثيق بينه وبين تحقيق الأمن الفكري، ومن القضايا المنهجية المهمّة في هذا المجال ضرورة أخذ العلم من العلماء الربانيين لأنهم صمام الأمن الفكري فبحسن توجيههم وبيانهم يتحقق الفهم الصحيح للنصوص وقواعد الاستدلال، لاسيما في النوازل والمستجدات، قال تعالى: ﴿ ...**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ... ﴿٨٣﴾ ﴾ (سورة النساء)، وهنا يتبين خَطورة التعالُم والمتعَالمين والقائلين على اللّه بغير علم، والخائضين في أمور الشريعة إفتاءاً وتحليلاً وتحريماً، وهم ليسوا منها في ورد ولا صدر، مما كان سبباً في تقويض بناء الأمن الفكري وحلول الفوضى الفكرية.

١ .٤ .٤ العمل الصالح

إنّ للعمل الصالح المتمثّل في القيام بالعبادات آثاراً كبيرة في حياة المسلم، منها: انشراح الصدر، وراحة البال، وسعة الرزق، وسلامة الإنسان وارتياحه، واطمئنانه، وشعوره بالأمان.

وقد جاء في القرآن آيات كثيرة، وفي السنة النبوية أحاديث عديدة، تدلّ على تلك الآثار، وعلى أن تقوى اللّه عزّ وجلّ والأعمال الصالحة يترتب عليها سعادة الدنيا وسعادة الآخرة.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٦/ ٤٥رقم٢١٧١٥)، وأبوداود في سننه أول كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (٤/ ٢٣٧رقم٣٦٣٦)، والترمذي في جامعه، أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ماجاء في فضل الفقه على العبادة (٤/ ٤١٤رقم٢٦٨٢)، وابن ماجه في سننه في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (١/ ٨١رقم٢٢٣)، وابن حبان في صحيحه، كتاب العلم، ذكر وصف العلماء الذين لهم الفضل والذين ذكرنا قبل (١/ ٢٨٩رقم٨٨).

قال اللّه عزّ وجل : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ... ﴿٩٦﴾** ﴾ (سورة الأعراف)، فإن هذه الآيةَ الكريمة اشتملت على ذكر العبادة، وعلى ذكر الأثر المترتب عليها في حياة المسلم ...

وقال عزّ وجلّ في أهل الكتاب : ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ... ﴿٦٦﴾** ﴾ (سورة المائدة).

وما ذكره اللّه عزّ وجل في هاتين الآيتين عن أهل القرى، وأهل الكتاب، هو من الثواب الدنيوي على الإيمان والتقوى، وأما الثواب الأخروي للمؤمنين المتقين فقد ذكره اللّه تعالى في قوله : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾** ﴾ (سورة المائدة).

وقال عزّ وجلّ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾** ﴾ (سورة الأحزاب)، وهذه عبادة، ثم ذكر الأثر المترتب على ذلك بقوله : ﴿ **يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾** ﴾ (سورة الأحزاب).

فإن إصلاح الأعمال، ومغفرة الذنوب في الآخرة من الآثار المترتبة على العبادة، فقد اشتملت هذه الآية الكريمة، على ذكر آثار تترتب على العبادة في الدنيا وفي الآخرة، ففي الدنيا إصلاح الأعمال والتوفيق والسداد، وأن يكون الإنسان يسير إلى اللّه عزّ وجلّ على بصيرة، وفي الآخرة مغفرة الذنوب، وتكفير السيئات.

وقال عزّ وجلّ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾** ﴾ (سورة الأنفال)،

فهذه الآية الكريمة تدل على أن من اتقى اللّه عزّ وجلّ، وعمل بطاعته، وطاعة رسوله ﷺ يجعل له فرقاناً يفرق به بين الحق والباطل، وهذا هو حقيقة الأمن الفكري، ويسير إلى اللّه عزّ وجل على بصيرة وعلى هدى وهذا في الدنيا، وأما الآخرة فيثيبه بتكفير السيئات ومغفرة الذنوب.

ومما جاء في السنة المطهّرة في بيان ما يترتب على العبادات من الآثار الطيبة في حياة المسلم ما جاء في وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي اللّه عنهما، حيث قال ﷺ في تلك الوصية العظيمة: «احفظ اللّه يحفظك، احفظ اللّه تجده تجاهك ...»[1]، وحفظ اللّه عزّ وجلّ لعبده يدخل فيه نوعان: حفظه في بدنه وماله وأولاده وأهله، وكذلك حفظه في دينه بأن يسلم من الشبهات المضلّة ومن الشهوات المحرمة، فيكون بذلك على سداد وعلى استقامة في أمور دينه ودنياه[2].

ومما سبق يتبيّن أنّ الطاعات والأعمال الصالحة سبب لتحقيق الأمن الفكري، وأنّ المعاصي والمحرمات سبب في غرق سفينة المجتمع، فالفكر المنحرف معصية للّه، وللمعاصي شؤم خطير على المجتمعات، إذاً فالأمن الفكري في المجتمع المسلم مرتبط ارتباطاً وثيقاً لايمكن أن ينفكّ عن تطبيق الشريعة على الحياة، ولا يمكن الانفصام بينها وبين السلوك الاجتماعي.

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللّه ـ في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم» شيئاً من ذلك في معرض حديثه عن التشبه بغير المسلمين وأن له الأثر الخطير على سلوك الناس وحياتهم[3].

---

(١) رواه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (١٢٤) رقم٢٥١٦، وقال: «حسن صحيح».

(٢) أثر العبادات في حياة المسلم، الشيخ عبدالمحسن العباد.

(٣) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٧٩ وما بعدها)، تحقيق: ناصر العقل، وللعلامة ابن خلدون في المقدمة كلام قريب منه، انظر الباب الثاني، الفصل الثالث والعشرون.

١ . ٤ . ٥ تحقيق الوسطية والاعتدال

التزام جانب الوسطية والاعتدال والابتعاد عن الإفراط والتفريط في الدين من أهم الضمانات اللازمة لاستمرار نعمة الأمن والاستقرار في بلادنا، وكما هو معلوم فإن الوسطية والاعتدال خاصية من أبرز خصائص الإسلام، وهي وسام شرف الأمة الإسلامية، ومن أبرز مميزات الوسطية، الأمان، ولذا يُقال الوسطية تمثل منطقة الأمان والبعد عن الخطر، فالأطراف عادة تتعرض للخطر والفساد، بخلاف الوسط فهو محمي ومحروس بما حوله كما أن من أهم مميزات الوسطية في الإسلام كون الوسطية دليل القوة، فالوسط مركز القوة، ألا ترى أن الشباب الذي يمثل مرحلة القوة والحيوية وسط بين ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، والشمس وسط النهار أقوى منها أول النهار وآخره، قال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ... ﴿١٤٣﴾ ﴾ (سورة البقرة).

بهذه الآية الكريمة حدّد الحق تبارك وتعالى هوية هذه الأمة، ومكانتها بين الأمم، لا إفراط ولا تفريط، لا إهمال ولا تطرف، لا تكاسل ولا غلو، بل اعتدال في كل شأن من شؤون الأمة.

وإذا كان الإسلام يدعو إلى الوسطية فإنه يُحذِّر كل التحذير من كل ما يتعارض معها من إفراط وتفريط، فكل من الإفراط والتفريط معول هدم للأمن بفروعه وعلى رأسه الأمن الفكري للفرد والمجتمع، لأن كلاً منهما جنوح على الصراط السوي في الاعتقاد والتفكير والتعامل، وخروج عن تعاليم الإسلام ومقاصده[1].

---

(١) متطلبات المحافظة على نعمة الأمن والاستقرار في بلادنا، سليمان بن عبدالرحمن الحقيل، ص٢٣.

١ .٥ الرجوع إلى العلماء وولاة الأمر

قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا به وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ . . .﴿٨٣﴾** ﴾ (سورة النساء) .

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ منكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٥٩﴾** ﴾(سورة النساء) .

إنّ طاعة ولاة الأمر مَن الأمراء والعلماء والرجوع إليهم في الملمات والنوازل والأخذ عنهم والاستضاءة بعلمهم وفهمهم واستنباطاتهم ونظراتهم هو السبيل لتحقيق أمن الجماعة بجميع فروعه وعلى رأسه تحقيق الأمن الفكري للفرد والمجتمع .

وتحقيق وحدة الأمة واستقرار الدولة وتفرغها لأداء واجباتها في الإعمار والبناء والنماء

ومن أجل هذه الغايات السامية أوصى رسول ﷺ جماعة المسلمين بطاعة أمرائهم وولاة الأمر منهم في جميع الظروف والأحوال، فعن أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ: (اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة)[1] .

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي- رحمه اللّه تعالى- في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا به . . .﴿٨٣﴾** ﴾ (سورة النساء) .

---

(١) رواه البخاري كتاب الأذان ، باب إمامة العبد والمولى رقم٦٩٣ ، وكتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية رقم٧١٤٢ .

هذا تأديب من اللّه لعباده، عن فعلهم هذا، غير اللائق، وأنه ينبغي لهم، إذا جاءهم أمر من الأمور المهمّة، والمصالح العامة، ما يتعلق بالأمن، وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم، أن يثبتوا، ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول ﷺ، وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي، والعلم النصح، والعقل، والرزانة، الذين يعرفون الأمور، ويعرفون المصالح وضدّها ... ولهذا قال ﴿ ...**لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ...﴿٨٣﴾ ﴾ (سورة النساء)، أي : يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة، وعلومهم الرشيدة.

ثم قال : وفي هذا دليل لقاعدة أدبية، وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولى من هو أهل لذلك، ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ[1]، وللّه در القائل :

إنَّ الأمور إذا الأحداث دبّرها دون الشيوخ ترى في سيرها الخللا

والمستقرئ لأحوال الأمة ومستجداتها والمتغيرات الطارئة عليها من أعمال العنف والإرهاب والتفجير والتدمير لم تكن لتحصل لو أنّ هذا المنهج السليم متحقق لدى هؤلاء، مما يجعلنا نؤكد على هذا الأمر ونعول عليه ضماناً بإذن اللّه لسلامة أمن المجتمع وفكر أبنائه.

١ .٥ .١ الدعوة والاحتساب

مما لاشك فيه أن الدعوة إلى اللّه مهمّة الأنبياء والمرسلين ورسالة المؤمنين الصادقين ورسالة المؤمنين الصادقين، قال تعالى : ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى**

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٤١٦-٤١٧) .

﴿ اللَّه عَلَىٰ بَصيرَة أَنَا وَمَن اتَّبَعَني ... ﴿١٠٨﴾ ﴾ (سورة يوسف)، وقال سبحانه : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبيلِ رَبّكَ بالْحكْمَة وَالْمَوْعظَة الْحَسَنَة ... ﴿١٢٥﴾ ﴾ (سورة النحل)، وقال : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مّمَّن دَعَا إِلَى اللَّه وَعَملَ صَالحًا وَقَالَ إِنَّني منَ الْمُسْلمينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (سورة فصلت)، وفي الحديث الصحيح : «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»[1].

وقال ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[2].

وأما الاحتساب وهو بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه قوام الدين وبه نالت هذه الأمة الخيرية على العالمين، قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّة أُخْرجَتْ للنَّاس تَأْمُرُونَ بالْمَعْرُوف وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَر وَتُؤْمنُونَ باللَّه ... ﴿١١٠﴾ ﴾ (سورة آل عمران).

وقال سبحانه : ﴿ الَّذينَ إِنْ مَّكَّنَّاهمْ في الأَرْض أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بالْمَعْرُوف وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَر وَللَّه عَاقبَةُ الأُمُور ﴿٤١﴾ ﴾ (سورة الحج).

لذلك ولما للدعوة وللحسبة من مكانة عظيمة في هذا الدين فقد جاءت الشريعة بإعزاز هذا الأمر ووضع الضوابط التي تحقق المصالح الكبرى منه، وأهم ذلك الإخلاص والعلم والخلق والرفق والحلم والأناة والأسلوب الأمثل.

ومتى ما تحقق ذلك آتت الدعوة والحسبة ثمارها في الحفاظ على أمن الأمن فكرياً لأن الدعاة والمحتسبين يقفون على ثغور عظيمة في دعوة الناس وتوجيههم إلى الخير في دينهم ودنياهم وآخرتهم، ويحذرونهم من كل ما يخالف ذلك، ومنه الانحراف الفكري بنوعيه إفراطاً وتفريطاً.

---

(١) رواه مسلم ، كتاب العلم ، باب من دعا إلى هدى أو ضلالة (٨/ ٦٢) .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب دعاء النبي ﷺ رقم٢٩٤٢ .

ومن يعرف الجهود التي تبذل في مكاتب الدعوة وأروقة الحسبة يجد الدور الكبير الذي يبذله الدعاة والمحتسبون في الحفاظ على الأمن الفكري للأمة[1].

١ .٥ .٢ التربية الصحيحة

للتربية الصحيحة دور كبيرٌ في تعزيز الأمن الفكري على تعدّد قنواتها، وأهمّها :

أ ـ دور الأسرة

قال تعالى : ﴿ **وَالَّذينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا منْ أَزْوَاجنَا وَذُرِّيَّاتنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا للْمُتَّقينَ إمَامًا** ﴿٧٤﴾ ﴾(سورة الفرقان). وقال سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْليكُمْ نَارًا ...** ﴿٦﴾ ﴾ (سورة التحريم).

تعتبر الأسرة المسلمة أعظم مدرسة إيمانية وأقوى حصن تربوي منيع يتم فيه إعداد الأولاد ذكوراً وإناثاً على التحلي بالاستقامة الفاضلة والسلامة من الزيغ والانحراف، كما تعتبر الذرية الطيبة المؤمنة من أعظم نعم اللّه على عباده ومبعث السرور والطمأنينة لعلومهم، لذا إن المؤمنين يتطلعون دوماً إلى أن يمنحهم اللّه المنعم الكريم جلّ وعلا هذه الذرية الطيبة المباركة، التي يسعدون بصلاحها واستقامتها، ومنافعها في الدنيا والآخرة.

ولهذا امتنّ اللّه على عباده بهذه النعمة العظيمة، فقال جلّ وعلا : ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مّنْ أَنفُسكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مّنْ أَزْوَاجكُم بَنينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مّنَ الطَّيّبَات ...** ﴿٧٢﴾ ﴾ (سورة النحل).

وانطلاقاً من مسؤولية الزوجين المشتركة في تربية أولادهما على تقوى

---

(١) الأمن الفكري ،عبدالله التركي ، ص٥١ .

اللّه وبر الوالدين والاستقامة الخلقية ووقايتهم من الضلال الفكري والانحراف السلوكي والفساد الاجتماعي التي تعاني من أخطارها المجتمعات في القديم والحديث، فقد جاءت وصية الهادي البشير ﷺ للوالدين بواجب تحمل المسؤولية الكاملة والرعاية الشاملة لأولادهما، فعن عبدالله بن عمر رضي اللّه عنهما، أنه سمع رسول اللّه ﷺ يقول: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع، وهو مسؤول عن رعيته، فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته»[1].

ويؤكد الرسول المربي ﷺ على أهمية رعاية الأبوين لأولادهما منذ نعومة أظفارهم، وعظيم تأثيرهما في حمايتهم من الضلال والإنحراف، فعن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «ما من مولود إلاّ يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»[2].

ولله درّ القائل:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

ومن أعظم الجوانب في مسؤولية الزوجين المشتركة التي يحقق الأمن الأسري والذرية الصالحة هو الرعاية الإيمانية في غرس العقيدة الصافية والشعور بخشية اللّه تعالى، ومراقبته والاستعانة به وحده ثم تعويدهم على

---

(١) رواه البخاري كتاب النكاح، باب المرأة راعية في بيت زوجها رقم (٥٢٠٠).
(٢) أخرجه مسلم كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين رقم (٢٦٥٨).

أداء العبادات، ثم يأتي واجب الرعاية الفكرية والثقافية النافعة، والاهتمام بالتربية السلوكية والنفسية[1].

ب ـ المسجد

قال تعالى: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾**﴾ (سورة النور).

للمسجد دور بنّاء في تنشئة الفرد ورسم خطوط المعرفة الحقة والإيمانية، التي تحميه من الشطط ومن الانحراف، وعبادة اللّه وحده دون سواه على أسس متينة قوية تدرأ عنه كيد الشيطان وأعوانه وما ينتهي به كيده إلى الإرهاب والترويع.

فالمسجد في الحقيقة مركزٌ تربويٌ، يربّى فيه الناس على الفضيلة، وحب العلم، وعلى الوعي الاجتماعي، ومعرفة حقوقهم وواجباتهم في الدولة الإسلامية، التي أقيمت لتحقيق طاعة اللّه وشريعته وعدالته ورحمته بين البشرية.

فيكون بذلك من أعظم المؤثرات التربوية في نفوس الناشئين.

ومن خلاله يحصلون على أمن فكري يجنبهم الوقوع في أوحال الأهواء المنحرفة والأفكار الهدامة، وينمي في نفوسهم الشعور بالمجتمع المسلم، والاعتزاز بالجماعة الإسلامية، ويبدؤون بوعي العقيدة الإسلامية وفهم هدفهم من الحياة، وما أعد اللّه لهم في الدنيا والآخرة[2].

---

(١) انظر: الضوابط الأمنية في الأحكام الأسرية: أحمد حسن كرزوي (١٤٢ـ١٤٤).
(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي (١٣٢ـ١٣٣).

جـ ـ المدرسة

إن الوظيفة الأساسية للمدرسة في نظر الإسلام هي تحقيق التربية الإسلامية بأسسها الفكرية والعقدية والتشريعية وبأهدافها، وعلى رأسها هدف عبادة اللّه وتوحيده والخضوع لأوامره وشريعته، وتنمية كل مواهب النشء وقدراته على الفطرة السليمة التي فطر اللّه الناس عليها، أي صون هذه الفطرة من الزلل والانحراف، حذراً مما حذرنا منه رسول اللّه ﷺ عند ما قال: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[1]، وأراد بذلك أن يَحْذر المربين من انحراف الناشئ عن فطرته ومن التردي في ضلالات العقائد والأفكار المنحرفة.

فهدف المدرسة هو بناء شخصية سوية جادّة مستقيمة، تسير على ما ارتضاه المجتمع من دين وعادات وتقاليد وأعراف لا تخالف الشرع، وترمي إلى الذود عن البلد ومكتسباته، وحماية عقول ناشئته من أي تلوث فكري، وإن تسمى باسم الإسلام[2].

١ .٥ .٣ المكتبات ودور النشر

المكتبات ودور النشر حصون مهمّة في حفظ ثقافة الأمة وثغر مهمّ من ثغورها الفكرية، وكمن كان لها أثر فاعل في تعزيز الأمن الفكري، وكم كانت على ضد ذلك حينما يساء استخدامها ويستغلها قراصنة الفكر المنحرف وسماسرة الثقافة المستوردة.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين رقم (٢٦٥٨)، وأحمد (٢/ ٢٤٤)، والحميدي (١١١١ و١١١٣).

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها بتصرف للنحلاوي ص١٤١.

فالكتب والمجلات والنشرات وغيرها مما تدفع به عجلة الطباعة المعاصرة مجال خصب يجب أن يستثمر في تعزيز الأمن الفكري، وحفظ تراث الأمة وثقافتها وأدبها وموروثها الحضاري من كل اللوثات المنحرفة، وتلك مسؤولية المثقفين والمفكرين والقائمين على هذه المكتبات ودور النشر للاضطلاع بحفظ الأمن الفكري للأمة.

والمتابع لحركة النشر تهوله تلك الإعداد والإحصاءات والأرقام التي وصلت إلى خانة الآلاف المؤلفة وكثير منها غثاء بل يدس السم في الدسم مما يبين مدى حجم وخطورة الغزو الثقافي المركّز ضد أبناء المسلمين وأجيالهم، فاللهم سلّم سلّم، والدعوة موجهة إلى وضع البديل الصحيح وتنميته وتيسير تسويقه وجعله في متناول الجميع، والله من وراء القصد.

١ .٥ .٤ وسائل الإعلام

مما لاشك فيه أنّ الإعلام في هذا العصر سلاحه الفاعل وقوّته المؤثرة، فالإعلام بوسائله السمعية والبصرية والمقروءة، قد وصل إلى ما وصل إليه من انتشار مذهل، حتى أصبح يحسب حسابه على آراء الناس، وفي تنشئة الأفراد أطفالاً وشباباً وشيوخاً مما كان له الأثر الواضح القوي المستمر في هذه العملية الاجتماعية، خاصة بعد أن تغلغل داخل البيوت والنوادي والمدارس والمكاتب، بل الشارع ووسائل النقل المختلفة، فقد أضحى ذا أثر فعّال في وضع الدعائم الأساسية في شخصية الناشئة، وفي غرس بذورها في تربيته وتربية أسرته، فهو مكمل لمشوار المدرسة والبيت والرفاق في تنمية خبراته واتجاهاته، وتزويده بالثقافات السائدة في المجتمعات البعيدة بشكل محبب مثير، لذا وجب أن تقوم أجهزة الإعلام بإعداد برامجها بدقة وأمانة وإخلاص من المتخصصين المهرة، الذين يستطيعون سبر أغوار النفس

البشرية، ويمكنهم أن يسوقوا برامجهم في إطار الثقافة السائدة في مجتمعاتنا العربية المسلمة، وأن يتخيروا الصالح منها، مما يتناسب وعقيدتنا وشريعتنا ومن ثم عاداتنا وتقاليدنا الأصيلة، وأن تكون معالجتهم لما يقدمون جادة وصائبة سوية تتفق مع الفطرة السليمة.

كما ينبغي عليها أن تعيد تقويم موقفها بحيث تعمل ما من شأنه أن يتيح الفرصة وأن يهيء المناخ الملائم لتحقيق الأمن الفكري الذي ننشده، والسلام الاجتماعي الذي آمنا به، وبضرورة تحقيقه أمن مجتمعنا من شرور التعصب والتحزّب وآفة التطرف بنوعيه.

وعليها أن تستخدم جميع الطرق والأساليب المتاحة لتقويض ثقافات الإباحية والعلمانية ومنع الأفكار المنحرفة، وإيجاد بث إعلامي إسلامي مضاد لإزالة فساد الفكر القادم من الغرب أو الشرق.

ولكي تؤتي شجرة الإعلام ثمارها لابدّ لأصحاب الأقلام الإسلامية الذين وهبهم اللّه القدرة على الكتابة أو الخطابة أو التأليف أن يتعاونوا مع هذه الجهات بأن يمدوها بإنتاجهم الفكري وأن يشاركوا حين تطلب منهم المشاركة بل عليهم أن يسعوا إلى هذه الوسائل لأنها أمانة في أعناقهم، اتجاه دينهم وأمتهم.

فإذا تهيأت هذه الأمور وتضافرت هذه الجهود أسهم الإعلام في توفير الأمن الفكري للشباب وإحاطتهم بسياج قوي من الثقافات الرشيدة المنبثقة من ديننا الحنيف ومعتقداتنا الراسخة التي تكون درعاً ووقاية لهم مما يرد من اسفافات الغرب ومخدراته المعنوية التي تثير غرائزهم وتدفعهم إلى السعي الحثيث لإشباعها بأية وسيلة كما يحميهم ـ من ميدان أهم وأخطر ـ وهو ميدان الجريمة فلا يكونوا دعاة إرهاب وتطرف وعنف وغلو، وغلو مضاد.

ومما يتصدر هذه الوسائل، الوسائل الإعلامية المرئية لاسيما الفضائيات، وشبكات المعلومات «الإنترنت» فكم كانت سبباً في الانحرافات الفكرية والخلقية، وكم كانت عاملاً في تقويض الأمن الفكري، مما يحتّم الدعوة بإلحاح إلى أن تولى العناية التامّة بهذه القنوات بميثاق شرف إعلامي، يحافظ على تعزيز الأمن الفكري في الأمة أمام هذا السيل الجرار والموج الهادر من الإعلام المضاد الذي وصل إلى أن يمتلك بعض الأعداء أكثر من خمسة آلاف قناة إعلامية في بعض الدول الغربية كلها موجّهة ضدّ الإسلام والمسلمين.

وإنَّ الغيورين ليتطلعون إلى مزيد من القنوات الفضائية والمواقع المعلوماتية في توضيح الفكر الصحيح وحراسة الأمن الفكري، والردّ على كل ما يخالفه بأسلوب علمي موضوعي رصين، بعيداً عن التلاسن واللجاج والتراشق والاتهامات المجرّدة في الوقت الذي علت فيه هذه الصيحات والحوارات والمنتديات التي تقوض دعائم فكرنا المؤصل وتجعل المتلقي في حيرة فكرية وبلبلة واضطراب وإثارة ثقافية تسهم بلاشك في خلخلة البنى الفكرية الصحيحة وتخرق السياج الثقافي المتميز لأمتنا وتعكر المنظومة الفكرية السليمة لمجتمعاتنا الإسلامية[1].

١ .٥ .٥ فتح قنوات الحوار

يعد الحوار من حيث الأصل منهجاً شرعياً ومسلكاً نبوياً عنى به القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿ ... **وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ... ﴿١٢٥﴾ ﴾ (سورة النحل)، ﴿ **وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ... ﴿٤٦﴾ ﴾ (سورة العنكبوت) وما ذاكَ إلاّ لأن الحوارَ «الجَدَال» طريق من طرق الدعوة إلى

(١) انظر: لأمن الفكري عبدالله التركي، ص١٠١.

الخير وإيصال الحق للناس، لأن منهم من عنده شبهة أو تأويل فمقارعة الحجة بالحجة خير سبيل لبيان الحق والمحافظة على الفكر السليم وتنقيته من شوائب الانحراف.

والمستقرئ لمنهج الأنبياء مع أقوامهم يجد أن راية الحوار مرفوعة، فهذا نوح وإبراهيم وهود وصالح وشعيب، وموسى وعيسى عليهم السلام وغيرهم ممن قص اللّه علينا أخبارهم مع أقوامهم حواراً صريحاً وجدالاً صحيحاً يرمي إلى الدعوة إلى الحق بأحسن أسلوب وأقوى تأثير وإقناع.

وهكذا سار نبينا ﷺ مع قومه بما تزخر به كتب السنة قولاً وفعلاً وتطبيقاً ممن كان له الأثر البالغ في دخول الناس في دين اللّه أفواجاً.

لكن لابد من ضوابط الحوار الشرعية وآدابه المرعية حتى يؤتي أكله، فينبغي أن يكون رائد المتحاورين الوصول إلى الحق بأسلوب علمي هادئ رصين بعيداً عن التشنجات والانفعالات فضلاً عن المزايدات والمساومات.

واليوم تشهد المرحلة الحاجة الماسّة إلى حوار الشفافية والوضوح أولاً مع بني جلدتنا ثم مع الآخر لنصل إلى المحافظة على أمننا الفكري المنشود.

وما الجهود المباركة التي تبذل عن طريق مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني إلاّ خطوة إيجابية في طريق المحافظة على أمن المجتمع ومشاركة جميع شرائحه وأطيافه في تحمل المسؤولية الفكرية في ذلك، ولا يغفل الدور الإيجابي للجهود الأخرى في الحوار مع الآخر في ظل ما يسمّى بحوار الحضارات الذي ينبغي أن تحمل رايته أمة الشهادة على الناس والخيرية على العالمين ليتفيأ العالم الحائر ظل حضارتنا الإسلامية السمحة المشرقة[1].

---

(١) وقد كتب في هذا الموضوع جملة من العلماء والباحثين، منهم: صالح بن حميد في كتابه: الحوار آدابه وضوابطه، خالد بن عبدالله القاسم في كتابه: الحوار مع أهل الكتاب، وآخرون.

١ . ٥ . ٦ الحزم وتطبيق العقوبات والتعزيزات

جاءت هذه الشريعة بالمحافظة على حياة الناس وأمنهم، لكن تظل فئة من الناس نشاز الفكر والسلوك خبيثة الطبع والدخيلة، قد تأصل الإجرام في نفوسهم وضعفت ذممهم ونشروا فسادهم وضلالهم وسعوا في الأرض فساداً، والله لا يحب المفسدين.

لذلك جاءت هذه الشريعة بالعقوبات الرادعة والتعزيرات الزاجرة لكل من تسول له نفسه العبث بأمن الناس وتعريض استقرارهم وطمأنينتهم للخطر، فحد القصاص والقتل والرجم والقطع والحرابة والبغي والإفساد في الأرض كلها زواجر للحفاظ على أمن المجتمع الشامل.

قال تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ ... ﴿١٧٩﴾** ﴾ (سورة البقرة)، وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ... ﴿٣٣﴾** ﴾ (سورة المائدة).

وقال: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾** ﴾ (سورة البقرة).

وقال: ﴿ **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ... ﴿٥٦﴾** ﴾ (سورة الأعراف).

ويأتي الأمن الفكري في مقدمة ما حافظت عليه الشريعة التي حفظت عقول الناس وأفكارهم من كل ما يغيّرها ويفسدها ويحيد بها عن الفطرة السليمة والطريقة المستقيمة، فحد الردة وقتال البغاة والخوارج والمحاربين والمفسدين في الأرض، ومروجي المخدرات، والحجر على المفتي الماجن كل تلك نماذج من الزواجر حفاظاً على أمن الأمة العقدي والفكري[1].

---

(١) انظر: الأمن الفكري عبدالله التركي، ص٤٦. وانظر: أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في منع وقوع الجريمة. صالح بن ناصر الخزيم. ص ٢٠. بتصرف.

١ . ٦ المملكة ودورها البارز في تعزيز الأمن الفكري

جاء دور بلاد الحرمين الشريفين ـ حرسها اللّه ـ بالأمن الفكري انطلاقاً من عقيدتها الصحيحة ومبادئها القويمة وثوابتها المتينة وتطبيقها للشريعة الإسلامية والمحافظة على مقاصدها، ومن المعلوم أن حفظ العقل من الضرورات الخمس التي جاء الدين بحفظها وحمايتها، وقد أخذت المملكة التدابير المناسبة لتحقيق هذا الهدف، من جانبين: الجانب الوقائي، وذلك بأخذ الأسباب الواقية من الخلل الفكري قبل وقوعه، والجانب الإجرائي العلاجي بوصف الدواء المناسب للخلل بعد وقوعه، وذلك فيما تنهجه من سياسة تهدف إلى نشر الوعي الصحيح، ممثلة في العناية الكبيرة بنشر الكتاب النافع وإقامة المؤتمرات العلمية والندوات الثقافية، ورفع مستوى التعليم ومكافحة الجهل والأمية، ويكفي أن آلاف المدارس والجامعات تنتشر في ربوع هذه المملكة لمكافحة الأمية فقط، وقبل ذلك كله العناية بالحرمين الشريفين وطباعة المصحف الشريف والاهتمام بعمارة المساجد وتشجيع العلماء والدعاة والمحتسبين والمفكرين والمثقفين والأدباء، ومن جهة أخرى تعبر جائزة الملك فيصل العالمية، وغيرها من الجوائز، التي تمنح سنوياً لعدد من الباحثين والمخترعين والعلماء والأدباء والمبدعين، تعبر عن مدى الإسهام السعودي في تشجيع إبداع العقل الإنساني والفكر البشري وتكريم إنتاجه، انطلاقاً من عالمية رسالتها ورعايتها التامة لحقوق الإنسان بجدارة.

وإلى جانب ذلك كله ارتسمت المملكة ما وضعه الإسلام من تدابير وقائية لحماية العقل وصيانة وظيفته، فحاربت المخدرات الحسية والمعنوية التي تخالط العقل، وتشل وظائفه، وتظهر عنايتها أيضاً بالأمن الفكري بما وضعته من أنظمة للمطبوعات والإعلام وبالجهود المباركة التي يبذلها العلماء منذ عهد الملك عبدالعزيز ـ رحمه اللّه تعالى ـ إلى يومنا هذا.

وقد استمرت هذه الجهود وازدادت نشاطاً في عصر خادم الحرمين الشريفين وولي عهده والنائب الثاني يحفظهم الله.

كما تظهر جهود المملكة في هذا النطاق في ما يبذله رجل الأمن الأول سمو الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية، ورجال وزارته الموقرة من جهود جبارة تَنِمّ عن الإدراك العميق لقضية الأمن الفكري وأبعادها، ومدى خطورتها، حيث جاء في خطاب ألقاه سموه الكريم عقب الاحتفال بتكريم المتقاعدين بوزارة الداخلية في ١٩ شعبان ١٤١٧هـ ما نصه:

«لاشك أن الأمن الفكري من أهم الأمر نلأنه إذا لم يكن هناك أمن فكري سيكون هناك خلل في الأمن في جميع فروعه. وأضاف سموه الكريم متحدثاً عن الجهود المبذولة في هذا الشأن﴿ ... **وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴿١٤﴾﴾ (سورة فاطر)، قائلاً بأن جهدنا في الأمن الفكري ليس بالمستوى الذي نريد، وهو محدود جداً ويجب أن تتعاون الأجهزة المعنية لتصحيح المفهوم الأمني.

وقد حققت المملكة العربية السعودية بفضل اللّه سبحانه والتزام شرعه ثم ما بذلته من جهود، خيراً كبيراً، ونتائج حضارية مميزة في هذا المضمار، مما كان أنموذجاً يقتفي في الحفاظ على أمن الأمة الفكري.

وقد كان هذا الأمر مدعاة لإثارة كوامن الحاقدين والحاسدين الذين شنوا الحملات الإرهابية والإعلامية ضدها، ولن يزيدها هذا بإذن اللّه إلاّ ثباتاً على منهجها.

حفظ اللّه لبلاد الحرمين الشريفين أمنها واستقرارها في كافة المجلات، إنه جوادٌ كريم[1].

---

(١) انظر: الأمن الفكري عبد الله التركي، ص١٠٥.

٧.١ الخاتمـــة

فقد ظهر في المقدمة أهمية الموضوع وخطورته، لاسيما في هذا العصر الذي كثرت فيه التحديات الفكرية، وأنه صمام أمان في حفظ فكر الأمة وثقافتها أمام أمواج الأفكار المنحرفة، كما تجلى في المبحث التعريف بالشريعة الإسلامية وبيان خصائصها ومميزاتها.

وأهمّ ذلك أنها من عند اللّه سبحانه وأنها شاملة كاملة صالحة لكل زمان ومكان محققة للمقاصد الشرعية بحفظ الضرورات الخمس في الدين والنفس والعقل والمال والنسل، مما يحقق الأمن بكل صوره وأشكاله، لاسيما الأمن الفكري.

كما تبين للقارئ إلماحة عن الأمن الفكري من حيث تعريفه وماهيته وأهميته وضوابطه ووسائل تعزيزه ومعوقاته، مما هو مزبور في مكانه، مذكور في حينه.

وقد كان الحديث منصباً عن دور الشريعة الإسلامية في تعزيز الأمن الفكري من خلال عدد من الوسائل والعوامل التي أظهرت دور الشريعة في هذا المجال عن طريق غرس العقيدة والإيمان في النفوس تحصيناً للأمة وحفظاً لأمنها من كل ألوان الغزو الفكري.

وكذا التحصن بالعلم النافع والعمل الصالح ولزوم العلماء الربانيين وفيه تبين أيضاً دور الأسرة والمسجد والمدرسة ووسائل الإعلام وتقانات المعلومات في تعزيز الأمن الفكري، وأنها جميعاً ثغور مهمة وحصون عنيدة لحراسة أمن الأمة الفكري.

١ .٧ .١ التوصيات

١ ـ ضرورة اضطلاع من بوأهم اللّه للولاية واتخاذ القرار في أي ثغر من ثغور الأمة بمسئولياتهم العظمى في حماية أمن الأمة الفكري .

٢ ـ أهمية قيام الجهات الأمنية بدور فاعل في حماية الأمن الفكري للمجتمع باعتباره من أهم أنواع الأمن بمفهومه الشامل .

٣ ـ استنهاض همم العلماء الربانيين والمفكرين المخلصين والدعاة الصادقين للقيام بدورهم الرائد في تحصين الأمة بالعلم والمعرفة وتسهيل مهمّتهم ضد كل ما يخدش أمن الأمة الفكري .

٤ ـ التركيز على ربط الأجيال بمبادئهم الإسلامية الصحيحة وعقيدتهم الإيمانية ومنهجهم الوسطي المعتدل فلا إفراط ولا تفريط ، ولا غلو ولا جفاء .

٥ ـ العمل على إحياء رسالة المسجد والعناية بحسن اختيار الأئمة والخطباء ، وإقامة الدورات المكثفة للرفع من مستواهم وتأهيلهم والتركيز على خطبة الجمعة إعداداً ومضموناً وأسلوباً ، ومعالجة الظواهر المعاصرة بكفاءة واقتدار .

٦ ـ تكثيف دور المدرسة التربوي والعناية بحسن اختيار المعلم المؤهل عقيدة وفكراً ومنهجاً وسلوكاً والتركيز على المراحل التعليمية كافتها .

٧ ـ ضرورة استثمار وسائل الإعلام لما لها من أهمية كبرى في هذا العصر ، عصر ثورة المعلومات وقفزة التقانات والتركيز على الفضائيات وشبكة المعلومات «الإنترنت» والعمل على وضع ميثاق شرف إعلامي لها للحفاظ على الأمن الفكري في الأمة .

٨ـ العمل على الحفاظ على ثقافتنا الأصيلة وعناية المثقفين وحملة الفكر بذلك، ووضع ضوابط للنشر والطباعة، بما يتمشّى مع الحفاظ على الأمن الفكري.

٩ ـ فتح باب الحوار بضوابطه وآدابه حرصاً على مصلحة المجتمع والأمة.

١٠ ـ قيام مراكز البحوث والدراسات بإعداد الدراسات والأبحاث وعقد الندوات والمؤتمرات التي ترصد كل ما يهدد أمن الأمة الفكري، تشخيصاً للداء ووصفاً للدواء.

١١ ـ تكوين هيئة عليا من مختلف التخصصات تعد الخطط وتضع الآليات والاستراتيجيات للحفاظ على الأمن الفكري.

١٢ ـ العمل على وضع مجالس تنسيقية بين الجهات ذات العلاقة، تعقد دورات وجلسات متتابعة للحفاظ على أمن الأمة الفكري.

المراجـــع

أولاً: الكتب

القرآن الكريم.

ابن الأشعث، أبـوداود سليمان، سنن أبـي داود، بيت الأفكار الدوليـة، بدون ت.

ابن أبي بكر، شمس الدين أبي عبدالله محمد، إعلام الموقعين عن رب العالمين، (ت٧٥١هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ابن الحصين، عبدالله، أفكار بلا زمن، مطابع النصر.

ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق وتعليق: ناصر بن عبدالكريم العقل، ط ٧.

ـــــــــــــــ، مجموع الفتاوى، جمع وإعداد وترتيب عبدالرحمن ابن قاسم وابنه محمد.

ابن حزم، الحافظ أبي محمد علي، الإحكام في أصول الأحكام: (ت٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد عبدالعزيز، ط ١، سنة ١٣٩٨هـ.

ابن فارس، لأحمد، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير سلطان، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٤هـ.

ابن كثير، الإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر.

أبوعيسى، الترمذي محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.

أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، تعميق الوعي الأمني لدى المواطن العربي، الندوة العلمية الثالثة والأربعون ١٧-١٩ شوال ١٤١٧هـ.

البخاري، الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، اعتنى به: أبوصهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية.

البدر، عبدالمحسن بن حمد العباد، أثر العبادات في حياة المسلم، ط ١، ١٤٢٣هـ دار المغني للنشر والتوزيع.

التركي، عبدالله بن عبدالمحسن، الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية، رابطة العالم الإسلامي.

الترمذي، الإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى، الجامع الكبير، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ٢.

الحقيل، سليمان بن عبدالرحمن، متطلبات المحافظة على نعمة الأمن والاستقرار في بلادنا.

الخزيم، صالح بن ناصر أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في منع وقوع الجريمة، ط ١، ١٤٢٢هـ.

الزرقا، مصطفى أحمد، المدخل الفقهي العام، دار الفكر. ط ٩.

زيدان، عبدالكريم، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ط ٧، مؤسسة الرسالة.

السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: محمد زهري النجار، المؤسسة السعيدية، الرياض.

السفياني، عابد بن محمد، الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، ط ١، ١٤٠٨هـ، مكتبة المنارة للنشر والتوزيع.

سنن ابن ماجه، دار إحياء التراث العربي سنة١٣٩٥هـ.

صحيح الإمام مسلم. الحلبي، بتحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي سنة ١٩٥٥م.

القطان، مناع ، التشريع والفقه في الإسلام، ط ٧ ، ١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة.

كزرون، أحمد حسن ، الهداية الربانية إلى الضوابط الأمنية، دار ابن حزم، ١٤٠٣هـ.

اللخمي، الشاطبي إبراهيم بن موسى ، الموافقات للشاطبي في أصول الشريعة، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ٢ .

مسند الإمام أحمد بن حنبل، إشراف ، عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط ١ ، مؤسسة الرسالة.

المنذري، الحافظ زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي ، مختصر صحيح مسلم ، مصطفى ديب البغا، دار اليمامة، ط ١ .

النحلاوي، عبدالرحمن ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، ط ٢ .

النسائي ، الحافظ أحمد بن شعيب بن علي ، سنن النسائي، المتوفى سنة ٣٠٣هـ، مصطفى البابي الحلبي، مصر.

ولد بيه، عبدالله الشيخ المحفوظ ، خطاب الأمن في الإسلام وثقافة التسامح والوئام. مركز الدراسات والبحوث، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.

ثانياً : المجلات :

الأزهر، العدد الثالث والثلاثون، الخميس ١٧ ربيع الثاني ١٤٠٢هـ.

الأمن والحياة، عدد (١٨٣) شعبان ١٤١٨هـ، عدد (١٧٨)، ربيع الأول ١٤١٨هـ.

الحرس الوطني، عدد (١٨٦) رمضان ١٤١٨هـ.

الفيصل، جمادى الآخرة ١٤١١هـ.

المجلة العربية، العدد (٢٨٥)، شوال ١٤٢١هـ، العدد (١٦١) جمادى الثانية ١٤١١هـ.